تحليل ودراسة أبعاد وصايا الشّيخ محمد تقي الشّيرازي بالتّاكيد على القرآن والحديث وفتاوى علماء الدّين

ا.م.د اصغر طهماسبي البلداجي

جامعة الشهركرد -قسم علوم القرآن-جمهورية ايران الاسلامية

tahmasebiasghar@yahoo.com

الملخص

كان الشّيخ محمد تقى الشيرازي من أهم المراجع والعلماء في مدينة كربلاء، والذي بالإضافة إلى كونه يمثل المرجعية الدينية العليا للشّيعة الاثنى عشرية؛ اتخذ إجراءات مهمة على الصعيد السّياسي لاستقلال العراق والعمل على تخليصه من الاحتلال البريطاني. من خلال فتاوى و وصاياه بهذا الشأن واسهمت سلطته الدينية لأخذ زمام المبادرة السياسية في العراق. ومنها تشريعه للفتاوى ووصاياه في الجهاد الدفاعي والّتي اصبحت مهمة بعدة أبعاد سيتم توضحيها بين ثنايا البحث، وعليه فإن الدراسة الموضوعة البحث يمكن دراسة هذه الفتاوى والوصايا من عدة أبعاد: ففي البعد الفقهي لابد من دراسة أهمية الجهاد الدفاعي وعدم تطبيق الجهاد البدائي (الجهاد الّذي يحتاج إلى إذن الامام وفي عصر الغيبة لا يجوز)؛ في البعد السّياسي ينصب التركيز على الاستقلال السّياسي للمسلمين وغياب وصايا غير المسلمين على المسلمين؛ في البعد الاجتماعي والّتي تؤكد على الوحدة والتضامن بين العراقيين في الأهداف المشتركة؛ في البعد الحقوقي يتمّ التركيز على حماية حقوق غير المسلمين والحفاظ على أمن وسلامة المجتمع وتجنب العنف والدّمار. تحلّل هذه الدراسة الأبعاد المذكورة أعلاه بناءً على التّعاليم الدّينية في ظلّ القرآن والأحاديث أهل البيت عليهم السّلام وفتاوى علماء الدّين.

الكلمات المفتاحية: الشّيخ محمد تقي الشّيرازي، الجهاد الدّفاعي، ثورة العشرين.

Analysis and study of the dimensions of fatwas and wills of Sheikh Mohammad TaghiShirazi with emphasis on Quran and Hadith.

Abstract:

Sheikh Mohammad TaqiShirazi was one of the important authorities and scholars in the city of Karbala, who, in addition to being a religious authority, did useful political work for the independence of Iraq.His fatwas and wills regarding Iraq's independence and confrontation with the British were among the most important aspects of his religious and political authority in Iraq. His fatwas and wills in defense jihad are important from several dimensions, explaining them shows the importance of these fatwas, therefore, this study aims to examine the various dimensions of the fatwas and wills of Sheikh Mohammad TaghiShirazi through an analytical descriptive method.The study of these fatwas and wills can be examined from several dimensions: in the jurisprudential dimension, the importance of defensive jihad and the non-implementation of primary jihad; in the political dimension, the focus is on the political independence of Muslims and the impermissibility of non-Muslim guardianship over Muslims. In the social dimension, it also emphasizes the unity and solidarity of Muslims in common goals; in the human rights dimension, the focus is on protecting the rights of non-Muslims, maintaining public security, and avoiding violence and destruction. This study analyzes the above dimensions based on religious teachings in the light of the Qur'an and the narrations of the Ahl al-Bayt (PBUT)

Keywords: Sheikh Mohammad TaghiShirazi, Defense Jihad, Twentieth Revolution.

المقدمة

إنّ عصر غيبة إمام العصر (عج الله تعالى فرجه الشريف) من أصعب الفترات في حياة المسلمين، حيث تكون حجة الله في الغيبة الكبرى ولا يستطيع النّاس الرجوع مباشرة إلى إمامهم. إنّ عصر الغيبة هو زمن الفتن والمحن الشّديدة الّتي يريد فيها أعداء الإسلام والمسلمين تدمير حقيقة الإسلام والقرآن الكريم والسّنة النّبوية للرسول محمّدﷺ وأهل البيت الأطهارعليهم السلام من أيِّ طرق. لكن شمولية دين الإسلام تجعله يقدّم خططًا متماسكة لكلِّ عصر حتّى لا يضل المسلمون. وفي زمن الغيبة لفقهاء جامعي الشّرايط يؤدون بفتاواهم دورًا مهمًا في تلاحم المجتمع الإسلامي وقيادة الشَّعب. ومن أبعاد فتاوى لفقهاء جامعي الشرائط مواجهة أعداء الإسلام. في تقسيم يوجد نوعان من الجهاد في الفقه الإمامي: الجهاد الإبتدائي والجهاد الدِّفاعي. يخضع الجهاد الإبتدائي لإذن الإمام المعصوم ولا يتمّ تنفيذه إلا بإذنه المباشر، والّذي له شروطه و قواعده الخاصة. الجهاد الدفاعي يكون في زمن الغيبة للإمام العصر، عندما يُطلب من النّاس الدِّفاع عن دينهم وشرفهم ووطنهم أمام اجتياح العدوّ. في زمن الغيبة يكون فقهاء جامعي الشَّرايط بالإضافة إلى قيادة المرجع الدِّينيّ مسؤولين عن السّلطة السّياسية للشَّعب، وعليه في زمن الغيبة تكون الفتاوى والوصايا لفقهاء جامعي الشَّرايط مهمة. على مرِّ التّاريخ قدّم الفقهاء الشِّيعة مساهمات كبيرة في ديناميكية المجتمع الإسلامي وتقدّمه بفتاوئهم. كان الشّيخ محمد تقي الشّيرازي من الفقهاء المعاصرين الّذين لعبوا دوراً هاماً في حياة المسلمين سياسياً ودينيّاً. أينما كان الحديث عن ثورة العشرين تتمّ مناقشة قيادة وزعامة الشّيخ محمّد تقي الشِّيرازي. فهو لعب دورًا هامًا في ثورة العشرين وازدهار واستقلال العراق. والسؤال الأساسي في هذا الصدد هو أنّ فتاوى و وصايا الشّيخ

محمد تقي الشّيرازي في ثورة العشرين أي جانب من جوانب الحياة المسلمة التي كان لها علاقة؟ وما هي آثارها على حياة الشعب العراقي؟ تمّ تنظيم هذا البحث مع التركيز على هذا السؤال في أربعة محاور و يشمل المحاور الفقهية، السياسية، الحقوق الإنسانية والاجتماعية وفق فتاوى و وصايا الشيخ محمد تقي شيرازي، وفي كلّ محور تحلّل نظرياته ودراستها بناءً على آيات القرآن وروايات المعصومين وفتاوى علماء الدين.

الأوّل: نظرة سريعة على حياة الشّيخ محمد تقي الشّيرازي

الميرزا الشّيخ محمد تقي الشّيرازي الحائري ابن محب علي ولد في شيراز عام ١٢٥٦ ق واستقرّ في كربلاء من عام ١٢٧١ هـ. هو ولد ميرزا محبعلي حفيد ميرزا علي غلشن زنغنه وابن شقيق ميرزا حبيب الله الملقب قاآني شاعر العصر القاجاري الشهير.[١] توفي ٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٨ في كربلاء. كان والده من اهل الورع والدّين وأخوه الميرزا محمد علي سكن شيراز وكان من مراجعها وهم بيت حكمة وعلم وأدب ينظمون الشّعر الرائق بالفارسية وقد كان عم المترجم من مشاهير الشّعراء. حضر المترجم على الأردكاني ثم قصد سامراء فحضر على الميرزا الشّيرازي و انقطع أليه حتّى صار من أكبر تلامذته وبعد وفاة الشّيرازي بقي في سامراء و رجع إلى تقليده والعمل بفتاواه جماعة كثيرة. وفي أثناء الحرب العامّة وانسحاب العثمانيين من العراق لم يتمكن من البقاء في سامراء فغادرها إلى الكاظمية ثمّ إلى كربلاء وأقام فيها وبعد وفاة السيّد محمد كاظم اليزديّ انتقلت الرياسة اليه وبفتواه الشهيرة

(١) آقابزرگ الطهراني، محمد محسن، طبقات اعلام الشيعة، نققباء البشر في القرن الرابع عشر، مشهد: مؤسسة البحوث الإسلامية، ١٣٩٦ش، ج١، ص٢٦٣.

أعلنت الثّورة العراقية على الاحتلال الإنكليزي وكان له فيها مواقف مشهودة على ما هو معروف في تاريخ تلك الثورة وما زال على ذلك حتّى توفي والثّورة قائمة على قدم وساق فدفن في البقعة المخصوصة في الصحن الحسيني.كتب كثيرا من مباحث الأصول وطبع له حاشية على المكاسب وهو شاعر باللغة الفارسية وأكثر شعره في مدائح أهل البيت النبوي ورثائهم.[١] كان رحمه اللهّ عالماً فقيهاً أصولياً، ورعاً زاهداً، حضر على أستاذه السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي وغرف من منهل علمه الجمّ وبحر جوده الفيّاض، كما تتلمذ على الشّيخ محمّد حسين الأردكاني والسيّد علي تقي الطباطبائي الحائري. وتخرّج من عالي دروسه عدد من الفضلاء،[٢] كان لديه بعض الكرامات، وذلك من جرّاء زهده في الحياة الدّنيا. حتّى ينقل عن السّيد ميرزا عبدالله، أنه قال: «إني مع طول ملازمتي للمرحوم الشّيرازي لم أرَ داخل عينيه إلّا مرتين فقط، وذلك لمواظبته على الإغضاء، وعلى التفكّر والذّكر، والتوجّه إلى عالم آخر.» وقال عنه السّيد حسن الصدر في التكملة: عاشرته عشرين عاماً فما رأيت منه زلة ولا أنكرت عليه خلة.[٣] كل هذه الحالات تدلّ على شخصيته العلمية وروحيته المتميّزة الّتي تزيّنت أخلاقها بآداب وأخلاق القرآن وأهل البيت. في هذه الدّراسة يتمّ فحص معظم النواحي السّياسية من حياته في ثورة العشرين.

---

(١) السيد محسن الامين، اعيان الشيعة، قم: مكتبة مدرسة الفقاهة الالكتروني، (لا تاريخ)، ج٩،ص١٩٢.

(٢) مجموعة من العلماء، رسائل الشعائر الحسينية، قم: مكتبة مدرسة الفقاهة الالكتروني،(لا تاريخ)، ج١، ص٤٠٢.

(٣) السيد محمد الحسيني الشّيرازي، الزهد، بيروت: مركز الرسول الاعظم، ١٤٢٠ هـ، ص١٤.

الثّاني: دراسة أبعاد وصايا وفتاوى الشّيخ محمد تقي الشّيرازي

فتاوى ووصاياه في ثورة العشرين بشكل عام لها تماسك مركزي وشمولي، أي أنّه اهتمّ بكافة الجوانب السياسية والاجتماعيّة للمجتمع وجميع خطاباته لها موضوع دينيّ؛ بمعني أنّ كلّ من كلماته مأخوذة من مواضيع دينيّة يتمّ تحليلها و دراستها في الآتي:

(١) المنهج الفقهي: التأكيد على الجهاد الدّفاعي

ما يمكن استنتاجه من فتاوى و وصاياه أنه اضطر لإصدار فتوى الجهاد ومناقشة فكرة الجهاد و نهى عن أي جهاد ابتدائي، و قد قال هذا في خطابه العام للمسلمين دفاعاً عن وطنهم و دينهم:«غير خفي على أحد إن موقف المسلمين في مثل هذا اليوم وقد بلغت صعوبته وحراجته مبلغاً لا يسع العلماء الأعلام أن يسكتوا عنه كما لا يسع العشائر المتحفزين إلا بذل النفس والنفيس في سبيل هذه النهضة الدّينية والحركة الواجبة الإسلامية فالواجب ليوم على عموم المسلمين أداء فريضة الدّفاع عن حوزة الدّين المبين وصيانة المشاهد المشرفة عن لوث الكافرين ومحافظة نواميسكم الأطهار عن تعديات الكفرة والقيام بواجب الوعظ والتّشويق والنفر والحثّ والترغيب والترهيب والله ولي التّوفيق انّه سميع مجيب»[١] في إصدار فتوى الجهاد يؤكد دفاعها ويقول:« بسم الله الرحمن الرحيم، مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين. ويجب عليهم، في ضمن مطالبهم، رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم

---

(١) محمدرضا كاشف الغطاء، وثائق التاريخية، قم: مكتبة مدرسة الفقاهة الالكتروني، (لاتاريخ)، ص٥٩.

التوسل بالقوة الدفاعية إذ امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم»[١] في مكان آخر، يؤكد على الطبيعة الدفاعية للجهاد ويقول: «اذا اصرّ الانجليز علي غصبكم حقكم وقابلوا التماسكم بالحرب فيجب عليكم الدفاع بجميع قواكم ويحرم لهم الاستلام»[٢]

التحليل والدّراسة

الجهاد في الإسلام من الأمور الهامة الّتي ورد ذكرها في القرآن والسنة، وهناك آيات وأحاديث مهمة في هذا الصدد تؤكد على أهمية الجهاد في سبيل الله ومحاربة أعداء الله، ومنها: ﴿**قاتِلُوا الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُّ وَرَسُولُهُ وَلا يَدينُونَ دينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ**﴾ (التوبة/ ٢٩) يصف الإمام علي عليه السلام الجهاد أيضًا بأنه ثوب تقوى ودرع قوي وحاجز آمن لله، وإذا ترك فالذلّ يلحق بالبشر: «**وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللهِّ الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُّ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمِلَهُ الْبَلَاءُ وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَسِيمَ الْخَسْفَ وَمُنِعَ النَّصَفَ**»[٣] بدقة في كلام الإمام علي عليه السلام يتّضح أنّ الجهاد من أهمّ عوامل شرف المسلمين ومنع إذلالهم. من خلال التأمل في الآيات والأحاديث في هذا الصدد يتّضح أنّ هدف الدّين الإسلام وغايته هو سعادة البشرية وكمالها، ولتحقيق هذه الرغبة في الإسلام يستخدم الأدوات ذات الصّلة في مواقف مختلفة؛ والغاية من

(١) كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية عام١٩٢٠م، النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٩م، ص١٥٣؛ عبدالله الفياض، الثورة العراقية الكبري سنة ١٩٢٠، بغداد: مطبعة دارالسلام، ١٩٧٥م، ص٢٧٤.

(٢) محمد الخالصي، بطل الاسلام، بغداد:مكتبة الكاظمية العامة، (لاتاريخ)، ص٢٣٦.

(٣) السيّد رضي(٤٠٦ هـ)، نهج البلاغة، قم: منشورات هجرت، ١٤٠٤هـ: خطبة ٢٧.

الجهاد هو تحقيق السّلام والطمأنينة وتوفير أرضية السَّعادة والأمان للبشر. فالحذر في آيات القرآن يوضح أنّ هدف الجهاد هو السّلام بما فيه: ﴿**وَما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ في سَبيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ الَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظّالِمِ أَهْلُها وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصيراً**﴾ (النّساء/ ٧٥) في هذه الآية المباركة يوبخ الله المؤمنين لماذا لا يطلقون سراح المظلومين ولا يستطيعون اختيار طريقهم إلى السعادة ولا تحررون أنفسهم من أيدي الظالمين؟ والغاية من الجهاد في هذه الآية محاولة لإقامة العدل وتحرير عباد الله من الظلم: ﴿**وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلاَّ عَلَى الظّالِمينَ**﴾ (البقرة/ ١٩٣) كما تؤكد هذه الآية على الجهاد والنضال ضدّ المشركين الّذين هدفهم الأنانية وتحقيق مصالحهم الشّريرة في ظلّ تدمير الآخرين وإثارة القلاقل لبقية البشر؛ أولئك الّذين لا يريدون أن يسير غيرهم من البشر على طريق السعادة ويتمنون أن يصبح المؤمنون مشركين، كما ورد في آية أخرى: ﴿**وَلا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا**﴾(البقرة/ ٢١٧) يقول الشّهيد مطهري في هذا الصّدد: «إنّ الإسلام دين حرب ودين سلام في نفس الوقت وله قانون الحرب وقانون السّلام، كلّ في مكانه وفي ظروفه الخاصة»[١]. لذلك فإنّ غاية الجهاد والنضال في الإسلام هو إحلال السلام والأمن وتحرير الإنسان من القهر والطّغيان. هذا هو منهج الإسلام المستنبط من القرآن وسنة المعصومين. ومن أنواع الجهاد في الفقه الإمامي الجهاد الدّفاعي. يعتبر معظم الفقهاء الجهاد الابتدائي خاضعًا لإذن الإمام المعصوم، وهو ما لا يوجد في عصر الغيبة، لكن الجهاد الدفاعي لا يتطلّب إذن الإمام المعصوم ولكن الدّفاع عن الأراضي الإسلاميّة واجب على المسلمين؛ الّذين يعتبرهم البعض بطبيعة الحال

(١) المطهري، مرتضي؛ سير في سيرة أئمة الأطهار عليهم السلام، طهران: صدرا، ١٣٦٧ ش، ص٧٨.

قيد الواجب الكفايي في هذا الصدد؛ بمعني أنّه واجب على من لهم شروطه، ومع ذلك يسقط عن غيره. إنّ وجود الجهاد الدّفاعي من ضرورات الفقه الّذي أصبح واجباً بحكم العقل والشّرع، وقد كتب الشّيخ الطوسي في هذا الأمر استناداً إلى آيات قرآنية: «دليلنا: إجماع الفرقة وأخبارهم وأيضا قوله تعالى﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ ولم يفصل. والمراد بالآية: النّهي لا الخبر، لأنّه لو كان المراد الخبر لكان كذبا.» يكتب صاحب الجواهر في شرح ضرورة الجهاد الدفاعي: «وظاهر الأصحاب عدم تسمية ذلك كله جهادا، بل دفاع، و تظهر الفائدة في حكم الشهادة والفرار وقسمة الغنيمة وشبهها» قلت: قد يقال بجريان الأحكام المزبورة عليه إذا كان مع إمام عادل عليه‌السلام أو منصوبه وإن كان هو دفاعا أيضا، لكنه مع ذلك هو جهاد كما وقع لرسول الله صلى‌الله عليه وآله وسلم لما دهمه المشركون إلى المدينة، وإطلاق المصنف وغيره نفي الجهاد عنه أنّما هو مع عدم وجود الإمام العادل عليه‌السلام ولا منصوبه، فهو حينئذ ليس إلّا دفاعا مستفادا من النصوص المزبورة وغيرها، بل هو كالضروري، بل ظاهر غير واحد كون الدفاع عن بيضة الإسلام مع هجوم العدو ولو في زمن الغيبة من الجهاد، لإطلاق الأدلة، واختصاص النّواهي بالجهاد ابتداء للدعاء إلى الإسلام من دون إمام عادل﵇ أو منصوبه، بخلاف المفروض الّذي هو من الجهاد من دون اشتراط حضور الإمام ولا منصوبه ولا إذنهما في زمان بسط اليد، والأصل بقاؤه على حاله.»[١] يعتبر الشّيخ جعفر كاشف الغطا أن الجهاد يتكون من خمسة أجزاء، أحده بدائية وأربعته الأخرى دفاعية[٢].

---

(١) النجفي الجواهري، محمد بن حسن بن باقر، جواهر الكلام فى شرح شرائع الاسلام، بيروت: داراحياءالتراث العربى، ج٢١، ص١٥.

(٢) كاشف الغطاء، جعفر بن خضر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، قم: منشورات بوستان كتاب، ١٣٨٨ش، ج٤، ص٢٨٩.

كما أكدّ السيّد علي الطّباطبائي صاحب رياض المسائل على ضرورة الجهاد الدّفاعي وأهميته.[١] الشّهيد ثاني يكتب في شرح الجهاد الدّفاعي وضرورته: «والثاني: أن يدهم المسلمين عدوّ من الكفّار، يريد الاستيلاء على بلادهم أو أسرهم أو أخذ مالهم وما أشبهه من الحريم والذرّية. و جهاد هذا القسم ودفعه واجب على الحرّ والعبد والذكر والأنثى إن احتيج إليها. ولا يتوقف على إذن الامام ولا حضوره. ولا يختص بمن قصدوه من المسلمين. بل يجب على من علم بالحال النهوض، إذا لم يعلم قدرة المقصودين على المقاومة. ويتأكّد الوجوب على الأقربين فالأقربين. ويجب على من قصدوه بخصوصه المدافعة بحسب المكنة، سواء في ذلك الذكر والأنثى والسليم والأعمى والمريض والأعرج والعبد وغيرهم. فإن علم أنّه يقتل لم يعذر في التأخّر بوجه، وإن لم يعلم القتل، بل جوّز السّلامة والأسر، ورجا السّلامة مع المدافعة فكذلك، وإن علم أنّه يقتل مع عدم الاستسلام وجب عليه الاستسلام، فإنّ الأسر يحتمل مع الخلاص.»[٢] كلّ هذه الحالات تؤكد إجماع فقهاء الشّيعة على الطّبيعة الدّفاعية للجهاد في عصر الغيبة، كما أكدّ الشّيخ محمد تقي الشّيرازي على الطّبيعة الدّفاعية للجهاد في ثورة العشرين.

(٢) النهج السياسي: عدم شرعية حكم غير المسلمين على المسلمين

من أهم مبادئ الشّيخ محمد تقي الشّيرازي عدم شرعية حكومة غير المسلم على المسلم. كان الغرض الأساسي من جهاده الدفاعي في ثورة العشرين هو الانتباه إلى

---

(١) طباطبائي الكربلائي، علي بن محمد علي، رياض المسائل، طهران: موسسه النشر الاسلامي، ١٣٩٦ هـ: ج٧، ص٤٤٢..

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الافهام الي تنقيح شرائع الاسلام، طهران: بنيادمعارف اسلامي، ١٣٨٣ش: ج٣، ص٨.

هذا المبدأ المهم حتّى يعرف الناس أنّ غير المسلمين ليس لهم الحق في الحكومة على المسلمين. وعلى هذا الأساس استند إلى القرآن الكريم وسيرة أهل البيت عليهم السّلام. فقال عن هذا: «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب و يختار غير المسلم للامارة و السلطنة على المسلمين ٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٧» وفي هذا الشأن تقول المس بيل في تقريرها المشاراليه قبلا ان المجتهدين في كربلا والكاظمية حرّموا على المسلمين أن يصوتوا لغير تشكيل حكومة إسلامية، فبلغ الاختلاف حدًا أوقف سير الاستفتاء. لكنّها تشير بعد ذلك إلى امكان استحصال بعض العرائض من الممالئين للانكليز، فتقول وقدمت بعد ذلك عدة عرائض يفضل فيها الموقعون عليها بقاء الإدارة البريطانية، وكان بين الموقعين عليها شيوخ ورجال ذوو مكانة في البلد والمعروف في هذا الشأن أنّ العلامة الأكبر الميرزا محمد تقي الشّيرازي أصدر في كربلا فتوى تنص على»: ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين. ولذلك أخذ الكربلائيون ينظمون مضابط تعبر عن حقيقة رأي الناس في حكم البلاد وتتفق مع مصلحتها، ولما وجدت السلطات البريطانية فيها أنها لم تكن قادرة على تنفيذ ما تريد في هذا الشأن ألقت القبض على ستة من الوجهاء وأبعدتهم، وهم عمر الحاج علوان، وعبدالكريم العواد، والسيد محمد علي الطباطبائي، ومحمد علي أبو الحب، والسيد محمد مهدي المولوي، وطليفح الحسون. فاحتجّ المرزا محمد تقي على ذلك احتجاجا خطيا شديد اللهجة[١].

(١) نفس المصدر.

التحليل والدّراسة

ومن تأكيدات القرآن الكريم على المسلمين عدم هيمنتهم ووصايتهم على الأجانب. عدم الهيمنة يختلف عن العلاقات السّلمية. إنّ تطوير العلاقات التجارية والسياسية في إطار المعايير الدّينية الّتي يمكن أن تؤدي إلى ازدهار المجتمعات الإسلامية وتطورها أمر يستحقّ الثناء ولكن الهيمنة والاعتماد على الدول المتغطرسة أمر مذموم. يعدّ القرآن الكريم المجتمع الإسلامي مجتمعا مستقلا ويحذّر الشّعب من هيمنة ووصاية غير المؤمنين. حرّم الله المؤمنين من ولاية الطاغوت، ممّا يعني أنّ المؤمنين لا يختارون الكفار وأهل الكتاب أوصياء عليهم أو بعبارة أخرى أن يكونوا تحت تأثيرهم: ﴿**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾(آل عمران/ ٢٨) وفي موضع آخر يمنع المؤمنين من قبول أوصياء أهل الكتاب وتكوين صداقات معهم: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ**﴾(مائدة/ ٥١) بسبب أعمالهم وخططهم الشّريرة في المجتمع الإسلامي فقد حرّم القرآن الكريم وصايتهم بشكل صارم. تعدّ الآية ١٤١ للنساء المعروفة بآية نفي السبيل من أهم الآيات الّتي استشهد بها المفسرون والفقهاء عن عدم سيطرة غير المسلمين على المسلمين: ﴿**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ قالُوا أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾(النساء/ ١٤١) ومعنى ذلك أنّ كلّ شيء يصدر من اللهَّ تعالى بوصفه مشرعاً لا يوجد فيه منحُ سبيلٍ وسلطنة للكافرين على المسلمين، فالشريعة خالية من ذلك، بصرف النظر عن الجانب التّكويني الّذي

قد يمنح كافراً سلطةً وسيطرةً على مسلم. يمكن أن تكون حكمة هذه القاعدة إبراز مكانة المؤمنين وتفوّقهم على الكافرين، أو إكرامهم وتقديرهم على اتّصافهم بالإيمان، أو تنبيههم على أنّ سلطة الكافرين لم تكن برضاً من اللهَّ ومحبّة، فلا يسلّموا لها ولا يخضعوا أمامها، وعليهم التخلّص منها والمنع من تحقّقها بهذا تكون هذه القاعدة من القواعد الكبرى في علاقة المسلم بغير المسلم، وفي العلاقات الدولية بين الدّولة الإسلاميّة أو المجتمع الإسلامي، وسائر الدول والمجتمعات، ممّا يعطيها بعداً قانونياً واجتماعياً وسياسياً ودولياً واقتصادياً،ما ذكره بعض الفقهاء من أنّ شرف الإسلام وعزّته يقتضيان عدم جعل حكم يوجب ذلّ المسلم، فاللهَّ تعالىقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ممّا يعني عدم وجود أحكام في الشريعة يعلو فيها الكافر على المؤمن، وهو عبارة اخرى عن قاعدة نفي السبيل. عبر جمع بعض الموارد الّتي رأينا أنّ الشّارع لا يرضى فيها بتسلّط الكافر على المسلم، ومن أمثلة ذلك اشتراط الإسلام في الولي، الكاشف عن عدم رضا الشارع بتسلّط الكافر على المسلم في سائر الأحكام والمقامات، ممّا يعني تشريع قاعدة نفي السبيل. وكذلك من أمثلته ما ذكره بعضهم من أنّ الشارع إذا كان لا يرضى بإهانة الشعائر- التي منها حرمة الإيمان- فكيف يرضى بتسليط الكافر عليه؟! مع أنّ فيه من الإهانة ما لا يخفى. فيستفاد بفحوى الأولوية من أدلة تلك الأحكام نفي السبيل على المسلم. يقول الإمام الصادقعليه السلام في هذا الصدد: «إِيَّاكُمْ أَنْ يُحَاكِمَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً إِلَى أَهْلِ الْجَوْرِ وَلَكِنِ انْظُرُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ- يَعْلَمُ شَيْئاً مِنْ قَضَايَانَا فَاجْعَلُوهُ بَيْنَكُمْ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ قَاضِياً فَتَحَاكَمُوا إِلَيْه»[1] كلّ هذه الحالات تظهر أهميّة عدم سيطرة غير

(١) الصدوق، محمد بابويه، من لا يحضره الفقيه، قم: منشورات جامعه مدرسين، ١٤٠٤ هـ، ج٣، ص: ٣.

المسلمين على غير المسلمين، وأنّ الشيخ محمد تقي شيرازي يحكم أيضًا على عدم حكومة غير المسلمين على المسلمين بناءً على نفس الحجج.

(٣) نهج حقوق البشر

في عقيدة فقهاء وعلماء الشّيعة إنّ محاكاة بأهل البيت عليهم السّلام لا يجوز استخدام أي وسيلة أو أداة لتحقيق الهدف والغاية بل إن تحقيق الهدف في ضوء الشروط والقواعد الدّينية والعرفية. بناء على ذلك فقد اهتمّ فقهاء الشّيعة في فتاواهم بحياة كلّ النّاس وحقوقهم ولم يأخذوا بعين الاعتبار الشّيعة فقط، وهو من الأخلاق الحميدة والتكريم لهؤلاء الرجال العظماء في محاكاة سلوك أهل البيت. أكدّ الشّيخ محمّد تقي الشّيرازي متابعًا لأهل البيت عليهم السلام على احترام حقوق الناس من كل طبقة وعرق ودين ومذهب، وشجّعوا المجاهدين على احترام حقوق النّاس و حماية ممتلكاتهم، فيما يلي يذكر بعض الأمثلة على حقوق الإنسان في إرادتهم.

اولا: الاهتمام بحقوق غير المسلمين

ركز الشيخ محمد تقي الشّيرازي بشكل كبير على مراعاة الآداب والأخلاق في التجمعات والاحتجاجات ضد البريطانيين. وكان من أبعاد فتاواه ووصاياه الاهتمام بحقوق الإنسان وغير المسلمين مما يعبر عن جمال تعاليم الدين الشيعي. قال مخاطباً الناس في مراعاة حقوق غير المسلمين: «و اننا نوصيكم؛ ان تراعوا في مجتمعاتكم قواعد الدين الحنيف، والشّرع الشريف، فتظهروا أنفسكم دائما بمظهر الأمة المتينة الجديرة بالاستقلال التام المنزه عن الوصاية الذميمة. و أن تحفظوا حقوق مواطنيكم الكتابيين، الداخلين في ذمة الاسلام، و ان تستمروا على رعاية الأجانب الغرباء، وتصونوا نفوسهم، وأموالهم، واعراضهم؛ محترمين كرامة

شعائرهم الدينية؛ كما أوصانا بذلك نبينا الأكرم- صلى اللهّ عليه وآله- والسّلام عليكم، وعلى العلماء، والأشراف، والأعيان.» في موضع آخر قال لكل العراقيين عن حقوق غير المسلمين: «وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل الّتي في بلادنا في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا تنالوا أحدا منهم بسوء.»

التّحليل والدّراسة

في أيّ مجتمع قد تعيش مجموعة من الناس مع أعراق وديانات ومعتقدات مختلفة. الإسلام دين شامل ويهتمّ بحقوق جميع البشر بغض النظر عن الدين. يعرّف القرآن الكريم حقيقة كل البشر إنسانيتهم بأي دين وعرق وينصّ على شرط التفوّق على أنّه تقوى: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَّ عَليمٌ خَبيرٌ» (الحجرات/ ١٣) وقال رسول اللهّﷺ للناس: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى قَالَ اللهُّ تَعَالَى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقاكُم»[١] وفي رواية أُخرى: «وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ- وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى»[٢] توجد آيات عديدة في القرآن عن أهل الكتاب وغير المسلمين والغرض من كلّ هذه الآيات هو الالتفات إلى هذه المجموعة وتبيين طريقة الهداية لهم. في التّعاليم الدّينية يتمّ إيلاء اهتمام خاص لحقوق غير المسلمين في المجتمع. الإمام علي يخاطب مالك اشتر ويقول: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ

(١) ابو الفتح الكراجكى، معدن الجواهر، طهران: منشورات مرتضوي، ١٣٩٤هـ، ص٢١.

(٢) المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، طهران: منشورات الإسلامية، ١٣٦٢ش، ج٧٣، ص٣٥٠.

لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِم»[1] الإمام السجّاد يشرح حقوق غير المسلمين ويهتمّ بحقوقهم ويقول في هذا الصدد: «وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَالْحُكْمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا قَبِلَ اللهُ وَتَفِيَ بِمَاجَعَلَ اللهُ لَهُمْ مِنْ ذِمَّتِهِ وَعَهْدِهِ وَتَكِلَهُمْ إِلَيْهِ فِيمَا طُلِبُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأُجْبِرُوا عَلَيْهِ وَتَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا حَكَمَ اللهُ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ مِنْ مُعَامَلَةٍ وَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ظُلْمِهِمْ مِنْ رِعَايَةِ ذِمَّةِ اللهَّ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَعَهِدِ رَسُولِ اللهَّ ص حَائِلٌ فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً كُنْتُ خَصْمَهُ فَاتَّقِ اللهَّ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهَّ فَهَذِهِ خَمْسُونَ حَقّاً مُحِيطاً بِكَ لَا تَخْرُجُ مِنْهَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ يَجِبُ عَلَيْكَ رِعَايَتُهَا وَالْعَمَلُ فِي تَأْدِيَتِهَا وَالِاسْتِعَانَةُ بِاللهَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهَّ- وَالْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعالَمِين»[2]

لذلك فهذه من أهم قضايا حقوق الإنسان الّتي تؤخذ في الاعتبار في تعاليم الإسلام وتفسيرها لأهل العالم يكشف جذابيات دين الإسلام.

(١) نهج البلاغة، رسالة ٥٣.

(٢) ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، قم: منشورات جامعة المدرسين، ١٤٠٤هـ، ص٢٧٢.

ثانيا: الاهتمام بحقوق النّاس في حماية ممتلكاتهم

في الحرب هناك الكثير من الاضرار على كلا الجانبين، في غضون ذلك قد يتضرر بعض المدنيين المحايدين الّذين هم لا يتدخلون في الحرب. وقد ركز الشّيخ محمد تقي الشّيرازي في نصيحته للمجاهدين بشكل كبير على حماية ممتلكات الناس ونهى عن أي تدمير وخسارة للممتلكات العامة وممتلكات الشعب، قال للمجاهدين عن هذا في وصيته: «وإن تستمرّوا على رعاية الأجانب الغرباء، وتصونوا نفوسهم، وأموالهم، واعراضهم؛ محترمين كرامة شعائرهم الدينية؛ كما أوصانا بذلك نبينا الأكرم- صلى اللهّ عليه وآله- والسلام عليكم، وعلى العلماء، والأشراف، والأعيان.»[١] في مكان آخر قال في شأن حماية ممتلكات الناس: «وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل الّتي في بلادنا في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا تنالوا أحدا منهم بسوء».

التحليل والدّراسة

في السيرة النّبوية قد أكدّ على حماية أموال الناس وعدم تدميرهم وينصح المجاهدين في معركة مؤتة ويقول: «ولا تقطعن نخلا لا شجرا و لا تهدمن بناء»[٢] في معركة تبوك نهى الرسول الكريمﷺ الجنود عن التخييم في الأراضي الزراعيّة للنّاس. حذر الإمام عليؑ بناء على سيرة الرسول الكريمﷺ القوات والجنود من أي اعتداء على ممتلكات الناس. وفي رسالة إلى جارية بن قدامة عندما أرسله لمحاربة بسر بن أبي ارطه حذره من اغتصاب الانعام والتعدي على مياه الناس. وقد

(١) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبري، ج٣، ص٧١.

(٢) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، قم: مكتبة آيت الله مرعشي نجفي، ج١٥، ص٦٥.

تمّ التأكيد على هذا المبدأ في النظريات الفقهية لفقهاء الشيعة. على سبيل المثال نهى ابن إدريس الحلي عن الغزو العسكري الّذي يتسبّب في دمار واسع النطاق للمباني والبنى التحتية للمجتمع، وكتب عن ذلك: «ويجوز قتال الكفار بسائر أنواع القتل وأسبابه، إلّا بتغريق المساكن، ورميهم بالنيران، وإلقاء السمّ في بلادهم، فإنّه لا يجوز أن يلقى السمّ في بلادهم قال شيخنا أبوجعفر في مبسوطة: وكره أصحابنا إلقاء السمّ وقال في نهايته:لا يجوز إلقاء السّم في بلادهم وما ذكره في نهايته، به نطقت الأخبار عن الأئمة الأطهار وروى أصحابنا كراهيّة تبييت العدو حتى يصبح». وكما يتضحّ فإن هذا مبدأ مهم في تعاليم الإسلام والّذي أكده أيضًا الفقهاء والعلماء الشّيعة وهو تعبير شامل وكامل عن الاهتمام بحقوق الإنسان حتى في حفظ وحماية ممتلكات النّاس.

النهج الاجتماعي

إنّ الاهتمام بالأبعاد الاجتماعيّة لوصايا وفتاوى الشّيخ محمد تقي الشّيرازي يظهر أنّ مبدأ فتاوى ووصاياه بشكل عام هو مبدأ اجتماعي وسياسي، أي بالنسبة للمجتمع وبناء المجتمع. وقد اعتبر في وصاياه وفتاواه جميع العراقيين من مختلف الأعراق والأديان والمذاهب و بناء على ذلك أصدر فتاوى ووصاياه وكان هذا أحد أبعاد شمولية شخصيته. وفيما يلي يشير إلى بعض الأساليب الاجتماعية في فتاوى ووصاياه.

اولاً: الاهتمام بأمن المجتمع

كان أمن الناس والسّلام الاجتماعي من ركائز الشّيخ محمد تقي الشيرازي في ثورة العشرين. فهو ركز بشكل كبير على الحفاظ على أمن الشعب وعدم وجود

اضطرابات وعدم استقرار في المجتمع. عندما طُلب منه الإذن بالدفاع عن البريطانيين ومواجهتهم، قال ذلك: «اخشي اين يختل النظام ويفقد الامن والامن أهمّ من الثورة واوجب منها»[1] في مكان آخر خاطب جميع العراقيين الّذين شاركوا في الانتفاضة: «واياكم و الإخلال بالأمن والتخالف والتّشاجر، فإنّ ذلك مضر بمقاصدكم ومضيع لحقوقكم التي صار الآن أوان حصولها بأيديكم».

التّحليل والدّراسة

إنّ تَحقُّقَ الأَمنِ فِي أَيِّ مُجتَمَعٍ سَواءً أَ كانَ مُسلِمًا أَم غَيرَ مُسلِمٍ جُزءٌ لا يَتَجَزأُ مِن ذلكَ المُجتَمَعِ. فِي مُجتَمعٍ لا يُوجَدُ فيهِ أَمنٌ، سَيُواجِهُ النّاسُ الكَثير مِنَ الأَذى وَالمَشاكِلِ، وَ سَتَترُكُ مِن ذلكَ المُجتمَعِ حَياةٌ قائِمةً عَلَى البَهجةِ وَالجاذِبيةِ. تَركزُ تَعاليمُ الإسلامِ بِشَكلٍ كَبيرٍ عَلَى أَهميةِ الأَمنِ، حَيثُ أَنّ رِوايَةَ نَبي الرَّحمةِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلم تُؤَكدُ عَلَى أَهميةِ هذهِ النِّعمةِ: «نِعْمَتَانِ مَكْفُورَتَانِ الْأَمْنُ وَالْعَافِيَة.» يُمكِنُ التَعبيرُ عَنِ الأَمنِ عَلَى أَنَّه النهجُ النّهائِي لِلجهادِ وَالصّلح، لِأَنَّ الجهادَ يَتَشَكلُ أَيضًا لِلتَقابُلِ مَعَ عُدوانِ أَعداءِ المُجتَمَعِ فِي الداخِلِ وَالخارِجِ حَتّى يَتَحَقّقُ الأَمنُ. وَفي هذا الصَددِ يَذكُرُ الإمامُ علي ﷺ أنّ أَحدَ أهدافِ حُكومَتِهِ هُوَ تَوفيرُ الأَمنِ لِلمَظلومينَ: «فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِك».

أَيضاً مِن نَتائِجِ الصلح هُوَ الأَمنُ، لِأَنَّ الحَربَ تَجلِبُ مَعَها اِنعِدامَ الأَمنِ؛ عِندَما يَكونُ لِلصُلحِ فَوائِدُ أَكبرُ وَأَعلَى مِنَ الحَربِ، مِمّا لا شَكَ فيهِ أَنّ أَحَدَ أسبابِ تَفضيلِها عَلَى الحَربِ هُوَ اِستِتبابُ الأَمنِ. يُشيرُ الإمامُ عَلي ﷺ فِي رِسالَةٍ إِلى مالِك اشتَر إِلى غايةِ الصُلحِ هذا: «فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْناً لِبِلَادِك.»

---

(١) محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء و الادباء، قم: مطبعة الولاية، ج٢، ص٢١٦.

كَما ذَكَرَ الإمامُ الحَسَنُ أَنّ أحدَ أهدافِ الصُلحِ هُو تَحَقُّقُ الأَمنِ لِلمُجتَمَعِ، حَيثُ خاطَبَ أَصحابَه: «إنّ الّذي تَكرَهونَ مِنَ الجَماعَةِ أَفضلَ مِمّا تُحِبونَ مِنَ الفُرقَةِ، وَأرى أكثَرَكُم قَد نكلَ عَنِ الحَربِ، وَفَشلَ عَنِ القِتالِ، وَلَستُ أَرَى أَن أحملَكم عَلَى ما تكرهون.» يَقولُ في مَكانٍ آخَرَ: «كَانَتْ جَمَاجِمُ الْعَرَبِ بِيَدِي يُسَالِمُونَ مَنْ سَالَمْتُ- وَيُحَارِبُونَ مَنْ حَارَبْتُ- فَتَرَكْتُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهَّ وَحَقْنَ دِمَاءِ الْمُسْلِمِين.»[١] وَرَدًا عَلَى اعتِراضاتِ سُلَيمانَ صَرد الخُزاعي عَنِ الصُلحِ: «وَلَكِنِّي أَرَى غَيْرَ مَا رَأَيْتُمْ وَمَا أَرَدْتُ بِمَا فَعَلْتُ إِلَّا حَقْنَ الدِّمَاءِ فَارْضُوا بِقَضَاءِ اللهَّ وَسَلِّمُوا لِأَمْرِهِ وَالْزَمُوا بُيُوتَكُمْ وَأَمْسِكُوا.أَوْ قَالَ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ أَوْ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِر». بناء على ذلك قد أكدّ الشّيخ محمد تقي الشّيرازي في وصاياه على الشعب والمجاهدين ضد الإنجليز على الحفاظ على أمن المجتمع وعدم القلق، وهذا من أهم جوانب وصايا الشيخ محمد تقي الشيرازي في المجتمع في المجال الاجتماعي.

ثانيا: وحدة المجتمع

نهج اجتماعي آخر لفتاوى ووصايا الشيخ محمد تقي الشّيرازي هو الاهتمام بالوحدة الاجتماعية. بعث الإمام الحائري رسالة إلى محمّد جعفر أبو التمن بتاريخ ٣/ رجب/ ١٣٣٨هـ، ٢٢ آذار ١٩٢٠م، جاء فيها: «سَرَّنا اتحاد كلمة الأمة البغدادية، واندفاع علمائها و وجوهها و أعيانها إلى المطالبة بحقوق الأمة المشروعة ومقاصدها المقدسة»[٢]. و جاء في رسالته إلى الشّيخ أحمد الداودأحد علماء السُّنة ببغداد- قوله: «هذا ما أعتقده في عامة المسلمين أن يكونوا على مبدأ القرآن الكريم ومنهج الحقّ

(١) المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٢٥.

(٢) مالك محمدجواد، شيعة العراق وبناء الوطن، كربلاء المقدسة: منشورات العتبة الحسينية المقدسه، قسم الشوون الفكرية و الثقافية، ج١، ص٤٤٥.

وقول الصدق، فكيف بمن رُبّي في حجر القلم ورضع درّ الإيمان، أباً عن جَد.. يسرني أنأرى مثلك في رأس قادة المسلمين إلى الحق داعياً، وإلى الضالين هادياً، بحيث يسترشد بك المسترشدون وينهض بأمرك القاعدون»[١] وجاء في رسالته إلى الشّيخ موحان الخير اللهأحد رؤساء عشائر المنتفكفي ٣ رجب قوله:«إنّ جميع المسلمين إخوان تجمعهم كلمة الإسلام، وراية القرآن الكريم، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وصحبه ـ، فالواجب علينا جميعاً الاتفاق والاتحاد والتواصل والوداد وترك الاختلاف»[٢].

وفي ثورة العشرين اهتمّ بكلّ العراقيين و لم يعدّ هذه الثورة مقصورة على الشّيعة؛ بل عدّ كلّ العراقيين مساهمين في تشكيل الحكومة. قال هكذا لكلّ العراقيين «إلى اخواننا العراقيين السّلام عليكم و رحمة اللهّ وبركاته. امّا بعد فانّ إخوانكم في بغداد والكاظمية والنجف وكربلا قد اتفقّوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية. وقد قامت جماعة كبيرة بتلك المظاهرات مع المحافظة على الأمن طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق إن شاء اللهّ بحكومة اسلامية، وذلك بأن يرسل كل قطر وناحية الى عاصمة العراق وفدا للمطالبة بحقه متفقا مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريب الى بغداد. فالواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم على هذا المبدأ الشريف..»[٣] إن تأكيد الشّيخ محمد تقي الشيرازي على عبارة «بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم» علامة على تركيزه على الوحدة الاجتماعية بين المسلمين. وبسبب هذا النهج الاجتماعي

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) علي الوردي، لمعات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد: المعارف، ١٩٧٧، ج٥، ص١٨٤.

استجاب العديد من شيوخ السّنة العراقيين لفتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي وشاركوا في الانتفاضة عندما صدرت فتوى الشيخ. تتابعت بعدها الكلمات الحماسية التي ألقاها محمد الشّيخ عبد الحسين، ورؤوف الأمين (زعيم حرس الاستقلال في الحلة) وعبد السلام الحافظ (خطيب أهل السنة)، وكلّها كانت تدعو إلى تحقيق استقلال العراق وتعيين أحد أنجال الشريف حسين ملكاً عليه.[١]

التحليل والدّراسة

في تقسيم يمكن تقسيم الحروب إلى نوعين، داخلي وخارجي، وفي هذين النوعين يمكن تصور حرب الأعراق والأديان والحكومات مع بعضها البعض. الخاصية المشتركة لجميع الحروب مع كل أسباب تشكيلها هو خلق الانقسامات والتفرقة. والغاية من السلام في هذا المجال هو تعزيز الوحدة وتجنب الانقسامات، ويمكن تحقيق هذه الوحدة والتماسك على جميع مستوياتها. الوحدة بين الأعراق والأديان والوحدة على مستويات المجتمع المختلفة والوحدة بين الدول وغيرها، يدعو القرآن الكريم إلى الوحدة وتجنب التفرقة:﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾ (آل عمران/ ١٠٣) لهذا السبب بذل الإمام علي﵇ قصارى جهده في زمانه حتى لا يتضرر هذا الاتحاد في المجتمع الإسلامي، وعندما يبايع طلحة والزبير يطلب منهم عدم إفساد شؤون المسلمين: «احلفا لي بالله العظيم إنكما لا تفسدان علي أمر المسلمين ولا تنكثان لي بيعة ولا تسعيان في فتنة»[٢] لذلك فإن من

---

(١) عدي حاتم عبدالزهرة المفرجي، محمد كاظم حسين الفتلاوي، المرجعية الدينية في سامراء و مفهوم الوحدة الوطنية (المرجع الشيخ محمد تقي الشّيرازي انموذجا في ثورة العشرين انموذجا)، المجلة كلية الدراسات الانسانية الجامعة، العدد٤، ٢٠١٥.

(٢) مفيد، محمد بن نعمان، الجمل و النصرة لسيد العترة في حرب البصرة، قم: منشورات مؤتمر الشيخ مفيد، ١٤١٣ هـ: ص٨٩.

نتائج حرب الفسخ والعبث تعطيل الوحدة والتماسك. ويرى الإمام علي (عليه السلام) أن أي نوع من الانقسام والانفصال عن صفوف المسلمين هو استغلال للشيطان، كما أن نذير الشقاق مثل الشاة التي أزيلت من القطيع: «فَإِنَّ يَدَ اللهَّ [عَلَى مَعَ الْجَمَاعَةِ وَ إِيَّاكُمْ وَ الْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ»[١] ينهى الإمام علي عليه السلام الناس بصرامة من التفرقة والانفصال ويعتبر سنة الله على أساس أنه لم يضع أي خير في التفرقة والانفصال:«فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهَّ فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ»[٢] والسبب في التأكيد على ذلك هو الأعمال الدّنيوية والعالميّة العالية التي هي في وحدة ونزاهة، وهو ما تؤكده التعاليم الدينية. وقد تمّ في هذا الصدد بيان العواقب المؤسفة والضارة للتفرقة والعداوة[٣] اَلإمامُ عَلي عليه السلام يَقتَبِسُ مِنَ النَّبي صلى الله عليه وآله وَيَقولُ في هَذا الصَدَدِ: «أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللهَّ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ص يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ»[٤] يَقولُ في مَكانٍ آخَرَ: «فَإِنَّ يَدَ اللهَّ [عَلَى مَعَ الْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ»[٥] ولعلّ سبب تفضيل اصلاح الخلاف على جميع الصلوات والصيام هو أنّه إذا زادت الفروق في المجتمع

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه: خطبة ١٧٦.

(٣) انظر: الكليني، الكافي: ج ٢ / ٣٤٦ ؛ ديلمي، شيخ حسن، ارشاد القلوب، قم: شريف رضي، ١٤١٢هـ: ص ١٧٩.

(٤) نهج البلاغة، وصية ٤٧.

(٥) المصدر نفسه: خطبة ١٢٧.

وحُكم على الانقسام والتفكك، فسيتمّ توفير الأساس لإفساد التعاليم الدينية بما في ذلك الصلاة والصوم. بمعنى أنّ الاختلاف في العمل يؤدي إلى عدم تأثير الصلاة والصوم. لذلك فإن حل الخلافات أفضل من الصلاة والصيام. وَهذا الأمرُ يَدُلُّ عَلَى أَهميَةِ الوَحدَةِ الإجتِماعيَةِ وَ غِيابِ الإختِلافاتِ. فِي العَصرِ الحالي حَلُّ الخِلافاتِ فِي سياقِ المَصالِحِ المُشتَرَكَةِ هامٌ جِداً، فِي هَذا العَصرِ عِندَما يَسعَى أَعداءُ الإِسلامِ إِلَى التَفرقَةِ بَينَ المُسلِمينَ وَجَماعاتِ المُختَلَفَةِ المُسلِمَةِ مِنَ العَربِ وَالعَجَمِ، يَجِبُ عَلَى كُلِّ المُسلمينَ مِن جَميعِ الفِرَقِ التَّخلي عَنِ التَركيزِ عَلَى الإِشتِراكاتِ وَالإِنقِساماتِ وَالإِختِلافاتِ. وهذا نهج اجتماعي لأمثلة حقوق الإنسان في الإسلام، وهذا يعني أنّ الإسلام يريد أن يتحدّ الجميع مع أي دين وعرق في ظل الشؤون المشتركة وأن يعيشوا حياة اجتماعية في سلام، وهو أحد أهم المقاربات الاجتماعية لحقوق الإنسان في الإسلام.

الاستنتاجات

بناءً على ما سبق يمكن سرد أهم نتائج هذا البحث في الحالات التّالية:

١. كان آية الله الشّيخ محمد تقي الشيرازي من أهم وأكبر مراجع التقليد للشيعة في العصر الحالي الّذي قدّم خدمات دينية وسياسية قيّمة. تدلّ أعماله العلمية في مجال الفقه والمعرفة على اهتمامه العلمية وشخصيته المتميزة. وكذلك في المجال السياسي هو من أهم العوامل المؤثرة في ثورة العشرين، فقد لعب دوراً هاماً وقيماً في استقلال العراق في النّضال ضد بريطانيا. تغطي وصاياه وفتاواه جوانب المختلف للمجتمع، مما يدل على تغطيته الشاملة للوضع في ذلك الوقت.

٢. من الناحية الفقهية فإن دراسة فتاواه و وصاياه تكشف حقيقة مهمة أكدها آية الله محمد تقي الشّيرازي على الجهاد الدفاعي ومنع أي عمل وجهاد ابتدائي. وهذا الأمر له أساس فقهي في الفقه الإمامي وهو ما لم يجز الجهاد الابتدائي في عهد الغيبة لإمام العصر. والجهاد الدفاعي يجوز في شروطه دفاعا عن الدين والعرض والوطن؛ وقد اهتمّ آية الله محمد تقي الشّيرازي بهذا الامر المهم اهتماماً كاملا وأكدّ على الجهاد الدفاعي ضد الأعداء في وصاياه وفتاواه.

٣. في البعد السياسي ما يتبين من وصاياه وفتاواه أنه لم يسمح لغير المسلمين بحكومة على المسلمين وأكد أن حكم المجتمع يجب أن يكون للمسلمين أنفسهم، لذلك لم يسمح للقيادة البريطانية وعملائها في الحياة السياسية للشعب العراقي. ورأيه هذا مبني على آيات القرآن وسيرة المعصومين. يؤكد القرآن على عدم جواز حكم غير المسلمين على المسلمين، كما تعبر قاعدة نفي السبيل عن هذا الأمر.

٤. في البعد الاجتماعي كانت وصاياه شاملة وكاملة، وتمّ الاهتمام بأبعاد الحياة الاجتماعية للناس. إنّ التأكيد على الضمان الاجتماعي والوحدة الاجتماعية من أهم الأشياء التي يمكن رؤيتها في الوصايا لهذا العالم العظيم. هو خاطب المجاهدين في ثورة العشرين وأكدّ على أمن المجتمع وعدم الإخلال بسلامه. كما أكدّ على الوحدة الاجتماعية للمسلمين من الشّيعة والسّنة، فهذه الحالات مأخوذة أيضًا من تعاليم القرآن والعترت.

٥. وهناك العديد من الأمثلة الجميلة والقيمة لحقوق الإنسان في وصاياه، والّتي تظهر تعاليم الدين الحنيف والرحمة والتعاطف في الإسلام الصحيح؛ إنّ الاهتمام بحقوق غير المسلمين وحماية أرواحهم وممتلكاتهم وحماية ممتلكات الناس من أهمّ سمات حقوق الإنسان في الوصايا للشيخ محمد تقي الشّيرازي.

٦. من المهم أيضًا الاهتمام بالخصائص والأبعاد المختلفة لوصايا وفتاوى الشّيخ محمد تقي الشّيرازي في العصر الحالي، والّتي يمكن أن تساعد في مختلف الأبعاد على استخدام هذه الوصايا في استقلال المجتمعات الإسلامية والحفاظ على الوحدة والأمن وشرح التعاليم الدينية للفقه الشيعي؛ كما من المهم شرح موقف مراجع تقليد للشيعة للعالمين، لذلك الاهتمام بهذه الأبعاد وشرحها وتبيينها للمجتمعات الإسلامية وغيرها يمكن أن يساعد في التعريف بالحياة العلمية والعملية والجذابة لعلماء الشيعة وجوانب حياتهم.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

١. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، قم: مكتبة آيت الله مرعشي نجفي.

٢. ابن ادريس الحلي، السرائر، قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٠ هـ.

٣. ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، قم: منشورات جامعة المدرسين، ١٤٠٤هـ.

٤. ابو الفتح الكراجكى، معدن الجواهر، طهران: منشورات مرتضوي، ١٣٩٤هـ.

٥. الثقفي، ابراهيم بن محمد، الغارات، طهران، انجمن أثار ملي، ١٣٩٥ش.

٦. آقابزرگ الطهراني، محمد محسن، **طبقات اعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر**، مشهد: مؤسسة البحوث الإسلامية، ١٣٩٦ش.

٧. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٨. ديلمي، شيخ حسن، **ارشاد القلوب**، قم: شريف رضي، ١٤١٢هـ.

٩. الدينوري، ابن قتيبة، اخبار الطوال، قم: منشورات الشريف الرضي، ١٣٧٣ش.

١٠. السيّد رضي(٤٠٦ هـ)، نهج البلاغة، قم: منشورات هجرت، ١٤٠٤هـ.

١١. السيد محسن الامين، اعيان الشيعة، قم: مكتبة مدرسة الفقاهة الالكتروني.

١٢. السيد محمد الحسيني الشيرازي، الزهد، بيروت: مركز الرسول الاعظم، ١٤٢٠هـ.

١٣. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الافهام الي تنقيح شرائع الاسلام، طهران: بنيادمعارف اسلامي، ١٣٨٣ش.

١٤. الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد، بيروت: دارالكتب العلمية،١٤١٤هـ.
١٥. الصدوق، محمد بابويه، من لا يحضره الفقيه، قم: منشورات جامعه مدرسين، ١٤٠٤هـ.
١٦. الصدوق، محمد بن بابويه، الخصال، قم: جامعة المدرسين، ١٣٦٢ش.
١٧. الصدوق، محمد بن بابويه، عيون اخبار الرضاعليه السلام، طهران: منشورات جهان، ١٣٧٨هـ.
١٨. الطباطبائي الكربلائي، علي بن محمد علي، رياض المسائل، طهران: موسسه النشر الاسلامي، ١٣٩٦ هـ.
١٩. الطوسى، محمد بن حسن، كتاب الخلاف، قم: جامعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مركز المنشورات الاسلامية، ١٣٧٨ش.
٢٠. عبدالله الفياض، الثورة العراقية الكبري سنة ١٩٢٠، بغداد: مطبعة دارالسلام، ١٩٧٥م.
٢١. عدي حاتم عبدالزهرة المفرجي، محمد كاظم حسين الفتلاوي، المرجعية الدنية في سامراء و مفهوم الوحدة الوطنية (المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي انموذجا في ثورة العشرين انموذجا)، المجلة كلية الدراسات الانسانية الجامعة، العدد٤، ٢٠١٥.
٢٢. علي الوردي، لمعات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد: المعارف، ١٩٧٧.
٢٣. كاشف الغطاء، جعفر بن خضر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، قم: منشورات بوستان كتاب، ١٣٨٨ش.
٢٤. كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية عام١٩٢٠م، النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٩م.

٢٥.كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبري، النجف الاشرف: دارالمورخ العربي، ط١، ٢٠٠٩م.
٢٦.الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران: منشورات الإسلامية، ١٣٦٢ش.
٢٧.مالك محمدجواد، شيعة العراق وبناء الوطن، كربلاء المقدسه: منشورات العتبة الحسينية المقدسه، قسم الشوون الفكرية و الثقافية.
٢٨.المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، طهران: منشورات الإسلامية، ١٣٦٢ش.
٢٩.مجموعة من العلماء، رسائل الشعائر الحسينية، قم: مكتبة مدرسة الفقاهة الالكتروني.
٣٠.محمد الخالصي، بطل الاسلام، بغداد:مكتبة الكاظمية العامة.
٣١.محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء و الادباء، قم: مطبعة الولاية.
٣٢.محمدرضا كاشف الغطاء، وثائق التاريخية، قم: مكتبة مدرسة الفقاهة الالكتروني.
٣٣.المطهري، مرتضي؛ سير في سيرة أئمة الأطهار، طهران: صدرا، ١٣٦٧ش.
٣٤.مفيد، محمد بن نعمان، الجمل و النصره لسيد العتره في حرب البصره، قم: منشورات مؤتمر الشيخ مفيد، ١٤١٣ هـ.
٣٥.موسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامى، الموسوعة الفقهية، قم: مكتبة مدرسة الفقاهة الإلكتروني.
٣٦.النجفي الجواهري، محمد بن حسن بن باقر، جواهر الكلام فى شرح شرائع الاسلام، بيروت: دار احياءالتراث العربي.